الشقيقتان

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

اطلعنا على العدد الاول من السنة الخامسة عشرة (كذا) لمجلّة « الكنيسة الكاثوليكيّة » الصادرة مرّة في الشهر من دير الشير (لبنان) بادارة الايكونوموس تاوفانوس البدوي الجزيل الاحترام. فاستبشرنا بمطالع هذه النشرة المفيدة التي ادّت سابقًا للكنيسة خدماً تُذكر فتُشكر

ومن جملة الابحاث التي وردت في هذا العدد نبذة عنوانها « الكنيسة اليونانية : ما هي وماذا كانت والى مَ آلت » افتتح بها مديرها الفاضل مقالاته الهامّة وضمّنها هذه المرّة تعريف الكنيسة اليونانيّة واعدًا قرّاءهُ بان يبيّن لهم قريباً ماذا كانت والى مَ آلت. فتصفّحنا هذه الطرفة رجاء ان نقتبس من فوائدها ونلتقط من فرائدها لكنّنا ما لبثنا ان لحظنا ان صاحبها يمزج الغث بالسمين ويظنّ كلّ بيضاء شحمة. وما كنّا لنتعرّض لهذه المقالة لولا ضنّنا على شرف هذه المجلّة التي وقفت نفسها في السابق للمدافعة عن المبادئ الراهنة والعقائد الصحيحة. وغاية ما نتمنى ان تعضدنا في هذا المشروع الجليل وتسعى معنا في توطيد معالم الدين القويم. وهذا اول المقالة :

« ان الكنيسة اليونانية التي يطلق عليها المؤرخون غالبًا اسم الكنيسة الشرقية تميزًا لها عن شقيقتها الكنيسة اللاتينية او الغربية ليست بمقصورة على بلد واحد او امة واحدة كسائر الكنائس الفرعيّة المنتسبة كل منها الى الامة القائمة بها وانما هي الكنيسة الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ الى يومنا هذا او اعتمدتهُ بعد من الزمان ثم نهجت سواهُ لاسباب وشؤون متنوعة وبقيت على نهجها الجديد الى اليوم »

*

واول ما يلوح من هذه النبذة ان صاحبها يعتبر الكنيسة اليونانيّة كشقيقة الكنيسة اللاتينيّة او الغربيّة (ص٣) كانّ المسيح انشأ كنيستين الواحدة شرقيّة او يونانية والاخرى لاتينيّة او غربيّة ولو رجع صاحب المقالة الى شعار مجلّته لرأى انّ تصوّره هذا في الكنيسة لباطل اذ كتب فيها « أومن بكنيسة واحدة مقدّسة رسوليّة » فاذا كانت الكنيسة واحدةً فاين المحلّ للشقيقتين

ثمَّ قال انَّ هذه الكنيسة شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة هي « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني الخ » فينتج من ذلك انَّ الكنيسة اليونانيَّة التي تتألف من ذوي الطقس اليوناني اي الملكيين والبلغار واليونان والسرب والروس والمجر وغيرهم هي مع اختلاف هؤلاء الشعوب بالمعتقدات شقيقة الكنيسة اللاتينيَّة فصارت كنيسة المسيح مجتمع عقائد متباينة . مع انَّ هذا يخالف تعريف الكنيسة كما تعلَّمناهُ منذ حداثة سنّنا وكما ورد في تعليم الروم الملكيين نفسهِ المطبوع في مطبعتنا سنة ١٨٧٢ (ص ٩٤) والتعليم الذي طبعهُ سابقاً غبطة البطريرك الجليل بطرس الرابع اذ كان مطراناً على بانياس سنة ١٨٨٦ (ص ٦٠) وقد جاء في كليهما ان الكنيسة يقال لها واحدة « لانَّ كلَّ الذين يؤلفونها يعتقدون بايمان واحد ويشتركون باسرار واحدة ولانَّ لها رأساً واحداً غير منظور وهو سيدنا يسوع المسيح الذي اقام لها رأساً واحداً منظوراً وهو القديس بطرس هامة الرسل وامام صفهم وخانهُ بابا رومية الحبر الاعظم نائب المسيح وابو المؤمنين المعصوم في تعليم الايمان والآداب » . فان قال انهُ يريد العدد القليل من المتكتلكين بين هذه الطوائف الشتى فذلك يناقض تعريفهُ للكنيسة اليونانيَّة

ثمَّ قال حضرتهُ (ص ٦) : « انَّ الطقوس اليونانيَّة بقيت شائعةً في الاجيال الاولى في رومة امّ الكنائس وفي كثير من مدن ايطاليا وافرنسا واسبانيا » . فاذا قابلنا هذا الكلام مع ما سبق لهُ من تعريف الكنيسة اليونانية « الجامعة لكل الامم والبلاد الجارية على الطقس اليوناني سواء جرت عليهِ منذ تأسيسها وما زالت محافظة عليهِ او اعتمدتهُ مدَّة من الزمان ثمَّ نهجت سواهُ » نتج كنتيجة لازمة ان الكنيسة الغربيَّة نفسها هي ايضاً من الكنيسة اليونانيَّة فليست اذن الكنيسة اليونانية شقيقة لها بل لا يوجد سوى كنيسة واحدة هي الكنيسة اليونانية . وهذا لعمري من النتائج الغريبة التي لا يرضى بها صاحب هذه النبذة كغيره من الكاثوليك الّا انها ناجمة عن المقدمات نجوم الشجرة من نواتها والزهرة من نباتها

ويؤيد حضرة الكاتب هذه النتيجة المخالفة للتعليم الكاثوليكي بقولهِ (ص ٦) انَّ الكنيسة اليونانيَّة اذ لم تستمدَّ شيئاً من طقوس غيرها واستمدَّ غيرها منها (وفي جملة هذه الكنائس المستمدَّة الكنيسة اللاتينيَّة كما سبق) هي الاصل وبقيَّة الكنائس (حتى الكنيسة اللاتينيَّة) هي الفرع

أفلا يستغرب حضرة الكاتب هذه النتيجة ولعلَّهُ لم يفكِّر فيها اذ سطَّر ما سطَّر وغاية ما يريد ان يثبت شرف الكنيسة اليونانيَّة فخدعت لسانهُ محبَّتهُ لطقسهِ

*

ولكن دعنا نبحث عن بعض مزاعم هذه المقالة تاريخيًّا لنرى ما فيها من الصحة :

(اولًا) حاول حضرة الكاتب ان يبيِّن انَّ اللغة اليونانية كانت اللغة الاولى التي انتشر فيها الدين المسيحي . ولكن ننشدهُ الله ان يفيدنا هل كانت لغة المسيح هي اليونانيَّة وكلّ صفحة من صفحات الاناجيل تبيِّن جليًّا انهُ تكلم بعبرانيَّة يهود ذلك العصر اي الآرامية الفلسطينية . قال العلامة ساخو في مجلة الشرق المسيحي (١٩٠١ ص ٤٧٦) : « قد تكلَّم المسيح ومعاصروهُ اللغة الآرامية (١) »

(ثانيًا) كيف يثبت صاحب المقالة انَّ الرُّسل بشَّروا اولًا باللغة اليونانيَّة فقط ونعرف انهم كانوا من الامميين يتكلَّمون بلغة الجليل بلدهم . فكانت اذن في العليَّة الصهيونيَّة لغة الكنيسة الاولى اللغة الآراميَّة لا اليونانيَّة وبها تكلَّم بولس لجمهور اليهود في اورشليم (اعمال ٢١ : ٤٠) وكذا قل عن اخوتهِ الرسل فيها

(ثالثًا) ان كانت اللغة اليونانيَّة كما زعم صاحب هذه المقالة شائعة هذا الشيوع الغريب فهل بقي من داعٍ لتلك الموهبة العجيبة التي اعطاها الروح القدس للرسل لمَّا انطقهم بلغات شتى يوم حلولهِ عليهم في العليَّة اذ كانت تكفيهم اليونانيَّة لتبشير الامم

(رابعًا) قال حضرة الكاتب انَّ كتب العهد الجديد (الأ الجيل القديس متى) كُتبت باللغة اليونانيَّة فهذا دليل على انَّ اللغة اليونانية كانت شائعة عند كل الشعوب وانَّ هذه الاسفار لم تترجم الى اللغات الَّا بعد مدَّة طويلة . لكنَّهُ لم يلحظ حضرتهُ

---

١) ومقالة ساخو هذه هي التي استشهدنا بها في المشرق في عددنا السابق (ص ١٤٣) وكلها فوائد تثبت شرف اللغة الارامية ومن جملة ما قال « انَّها امتدَّت مدَّة نيِّف والفْ سنة وان شعب اسرائيل ترك لغتهُ الاصليَّة ليتكلَّم بالارامية وان هذه اللغة لم تبطل الى ان اسقطتها اللغة العربيَّة ». اما ما استشهد بهِ حضرة الخوري الفاضل اوتجلس عبد من هذه المقالة فدنهُ مع صحَّتهِ مناقض لفكر المؤلف لانهُ فصلهُ عن قرائنهِ . وما يريدهُ ساخو ان بطاركة كنيسة انطاكية مع كونهم آراميين اخذوا التمدُّن اليوناني وغلَّبوا في كنيستهم اللغة اليونانية فكتب بها كتبة ذلك العصر ولا يريد بذلك كون الشعب كان يتكلَّم بهذه اللغة . ومع هذا فاننا قد قلنا مرارًا في المشرق انَّ سواحل الشام سادت بين أدبائها اللغة اليونانية (راجع تاريخ الرومان لمُمسن وملحوظات تلدك عليه)

انّ الاناجيل الثلاثة كُتبت اولًا لقوم مخصوصين وكنائس خاصّة شاعت بينها اليونانيّة وانّ انجيلي مرقس ولوقا اقتبسا في الغالب عن متّى الذي شاع انجيله اولًا في اليهودية والبلاد الآرامية الى الهند اما انجيل يوحنا فكتب لكنائس اليونان. على انّ هذه الاناجيل نفسها تُرجمت في اواخر القرن الاول الى السريانية كما بيّن العلامة الشهير الكردينال وَيمان واثبتهُ كل المستشرقين. وفي القرن الثاني نُقلت الى القبطيّة ومن ثمّ الى بقية اللغات. اما الرسائل فقد كُتبت ايضًا لكنائس مخصوصة ولغايات معلومة لا تدلُّ لغتها على ان كلّ المتدينين بالنصرانية في ذلك العصر كانوا يفهمون اليونانيّة

(خامساً) انّ قول حضرة الكاتب عن دخول الالفاظ اليونانيّة في بقية الطقوس لا يدل على اشتقاق هذه الطقوس من اليونانيّة كما انّ وجود الفاظ ارامية في الطقس اليوناني كهوشعنا (او اوصنّا) وهالليويا وماشيح (او ماسيّا) لا يدلُّ على انّ الكنيسة اليونانية اخذت الطقوس الآرامية

(سادساً) كيف يثبت حضرة الكاتب انّ الكنيسة اليونانيّة لم تأخذ شيئًا من طقوس غيرها. وقد بيّن حضرة الاب أرنت في مجلة المجموعات الكنسيّة (١ والاب باريزو البندكتي انّ عوائد وطقوساً عديدة اتخذتها الكنيسة اليونانيّة من الكنيسة الغربية كما اخذت الكنيسة اللاتينية عن الكنيسة اليونانية بعض طقوسها وقد اثبتنا نحن ايضًا في المشرق (١ : ٣٣٣) ما قالهُ يوحنّا فم الذهب عن عيد ميلاد الرب ان الشرق اخذهُ في زمانهِ حديثًا عن الكنيسة الرومانية

(سابعاً) هل يمكن صاحب المقالة الفاضل ان يبين لنا صحّة ما قالهُ عن شيوع الطقوس اليونانيّة في الكنائس الغربية كرومة وايطاليا وفرنسا واسبانيا. وهل اتخاذ اللغة اليونانيّة مدة في بعض هذه الكنائس هو دليل على استعمالها ايضًا الطقوس اليونانيّة فاي علاقة بين الطقس واللغة ؟

هذه عجالة اثبتناها هنا لتفيد بعض مزاعم المقالة التي نحن بصددها. وهي تتضمّن غير ذلك من الظنون التي لا يسعنا ضيق المقام ان نتعرض لها هذه المرّة فعسى هذه الملاحظات تقنع حضرة الكاتب وترشدهُ الى ما فيه كلّ خير

(١ Amdt : *De rituum relatione ad invicem*, Rome 1883 — Dom Parisot : *Les rites orientaux*, Amiens, 1896